مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد الثامن ،العدد الثالث ،جوان 2023، ص- ص578.-594

الملامح التقنية والفنية في المنابر الرخامية بالجزائر

Technical and artistic features in marble pulpits in Algeria

خذير ابراهيم (*)
جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله (الجزائر)،
Brahim.khadir@univ-alger2.dz

زيتوني عبدالرزاق
جامعة الجلفة زيان عاشور (الجزائر)،
abderrazak.zitouni@univ-djelfa.dz

تاريخ الاستلام: 17 /03/ 2023 **تاريخ القبول:**07 /06/ 2023 **تاريخ النشر:** 10 /06/ 2023

الملخص

شهدت الحضارة الإسلامية بالجزائر الكثير من الروائع الفنية الإبداعية التي تجلت مظاهرها في العديد من الميادين و الأشكال ,واختصت بخصائص ومميزات فريدة عبرت عن عمق العقيدة الإسلامية برقيها وسموها , ومن المرتكزات التي حظيت باهتمام كبير فيها ,العمارة بأنواعها وخصوصا المساجد التي ارتبطت بممارسة أهم ركن من أركان الإسلام وهي الصلاة , وقد تنوعت و تعددت الجماليات في تزيين المساجد بهندستها و مآذنها وزخارفها وكل ملحقاتها ومنها المنبر الذي يعتبر عنصر هاما في المسجد لاتصاله بالخطابة ,وقد شكل معطي ومعالم تاريخي لاحتوائه على رصيدا من المقومات للعصور الإسلامية المختلفة التي تنوعت فيها المنابر من حيث الإشكال والتزويق والتزيين وكذالك من حيث المواد المستخدمة في انجازه , في ورقتنا البحثية هذه نتناول المنابر الرخامية بالجزائر وملامحها الفنية والتقنية التي أثرت تاريخ الفنون والهندسة الإسلامية بالجزائر .

الكلمات الدالة: المنابر الرخامية؛المسجد؛ الجزائر؛ الفنون .

Abstrac:

The Islamic civilization in Algeria witnessed many creative artistic masterpieces whose manifestations were manifested in many fields and forms, and were characterized by unique characteristics and advantages that expressed the depth of the Islamic faith, its sophistication and loftiness. Aesthetics varied and multiplied in decorating mosques with their architecture, minarets, decorations and all their accessories, including the pulpit, which is considered an important element in the mosque because of its connection to rhetoric. The materials used in its completion, in our research paper, we discuss the marble pulpits in Algeria and their artistic and technical features that influenced the history of Islamic arts and engineering in Algeria.

Keywords: Marble pulpits;Mosque;Algeria;Arts;

*المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

دون شك لعب الفنون دور هاما في سرد الزمان والمكان عبر التاريخ ,وحملت جوهر التأمل والإبداع وبعث الإحساس والمتعة في نفس المتلقي ، في الجزائر شكلت الفنون على أنواعها جسرا مهما للشواهد التاريخية والحضارية تعبر منه نفحات الماضي نحو الحاضر والمستقبل ,في السياق نفسه نرى تجلت الفنون الإسلامية بمظاهرها السامية والراقية التي امتزجت فيها العقيدة بالفن في كل الأعمال الفنية التي اظهر فلسفة الفن الإسلامي ممارسة و فكرا, ومن الأمثلة الغنية بالروائع الجمالية والفنية يبقي المسجد بكل هياكله ومنشاته ومقتنياته تحفة تشكيلية متكاملة , حملت عناصر الرئيسية منها المنبر الذي حمل الطابع الجمالي في الجانب التشكيلي, وحامل معاني الخطاب والإرشاد والنصح في جانب الخطابة وقد تعددت مظاهره وملامحه وتصميماته و مواده المستخدمة عبر العصور الإسلامية .وفي المقام هذا نتناول المنابر الرخامية بالجزائر من خلال بعض الجوامع بالجزائر

2. المنبر الرخامي لجامع الجديد بمدينة الجزائر:

1.2.تاريخ تأسيس الجامع الجديد:

بني جامع الجديد أو جامع السماكين أو الحواتين كما يسميه العامة، خلال القرن الحادي عشر الهجري(11هـ) السابع عشر ميلادي(17 م) أي في سنة(1070هـ/1660 م)[1] ، من طرف وكيل جمعية خيرية، عرفت لدى العثمانيين بالجزائر بسبل الخيرات (الأوقاف) والاسم المتداول بين الناس حتى اليوم لهذا الجامع هو الجامع الجديد لمجاورته للجامع المرابطي الذي عرف بدوره باسم الجامع القديم ، لأنه يسبقه في التاريخ وكان الجامع القديم قبل بناء الجامع الجديد العثماني هو الجامع الرئيسي والأساسي للمدينة تقام فيه صلاة الجمعة . وكانت له مكانة كبيرة في نفوس الناس ، كما كانت له أوقاف خاصة به كما يطلق عليه أحيانا اسم جامع باب البحر لانفتاح باب في السور الشمالي للمدينة مواجه للبحر وملاصق أو مجاور للجامع وأطلق عليه الفرنسيون اسم جامع الساحة أو جامع الحوا تين أو الصيادين لموقعه ملاصقا ومجاورا لسوق استقبال الأسماك وبيعها.[2]

ويتضح من خلال الشريط الكتابي المنفذ على الجص والمثبت بطريقة أفقية يوجد يسار و يمين المحراب على جدار القبلة تاريخ إنشائه ونصه كالآتي:

يمين المحراب :

شريط عمودي / أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم .

شريط أفقي / الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد أما بعد رحمكم الله قد اجتهد في بنيان المسجد عبد الله الراجي

يسار المحراب :

شريط عمودي / عفوه مولاه المجاهد في سبيل الله الحاج الحبيب كان الله له.

شريط أفقي / الحمد لله وحده من يتعرف بسبب طلوع المسجد وكيله الحاج حبيب وتمامه (1070 هـ)

حيث أسست هذه الجمعية تسيير شؤون الأوقاف من مساجد وغيرها فقد كان من بين المساجد المسيرة ت تحت إدارتها الجامع الجديد جامع السفير جامع كتشاوة وجامع القصبة ... وغيرها من المساجد ذات المذهب الحنفي.[3] وهذه الجمعية قام بمساعدتها في بناء الجامع (الجديد) الجنود الأتراك وما يدل على ذلك كتابة على لوح زجاجي يوجد على واجهة الباب الرئيسي الغربي من المسجد نصبها التالي :((وانه بعون الله تبارك وتعالى ثم في عهده الزاخر تم بناء هذا المسجد والله يسدد خطى جنودنا المنتصرين ويجازي كل واحد منهم بألف جزاء)).[4]

فمظاهر الجمال الإتقان تتجسد في هذا الجامع حيث يعتبر من أهم ما خلفه العثمانيون من الهندسة المعمارية في الجزائر مقارنة بالمساجد العثمانية الأخرى أثناء الحكم العثماني .ومن جهة أخرى يعتبر النموذج الكامل في مجال المحافظة على الأصالة الخارجي العام له. ويظهر وكأنه يتخذ شكل الصليب اللاتيني[5] ، وهذا النموذج نجد ممثلا في كنيسة القدسية صوفيا باسطنبول والتي اتخذها الأتراك حسب (جورج مارسي) النموذج الرسمي في تشييد مساجدهم خاصة أثناء حكم الدولة العثمانية.[6] وجامع الجديد ذو تخطيط على شكل مستطيل يتجه نحو

الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وهو نفس اتجاه القبلة السائدة في المغرب العربي فهو مبني كبير تتوسطه قبة ضخمة إلى جانب وجود قبيبات صغيرة واجهاتها خالية من الزخرفة.[7]

بينما المئذنة فهي مربعة الشكل وتحتل الركن الشمالي الشرقي وتتبع في ذلك نفس النظام السائد في المآذن المغربية ثم تنتهي المئذنة في الأعلى بجوسق صغير مسقوف بقبة صغيرة. أما بالنسبة لمنبر الجامع فيعود أصله إلى جامع السيدة الذي بناه (مُحَمَّد باشا) (1791 1765 م)، بالقرب من الجامع الجديد وبالضبط أمام المدخل الرئيسي بقصر مصطفى باشا، وكان من بين المترددين على هذا المسجد موظفي الدولة وضباط الجيش العثماني .وفي سنة (1832 م) حول المنبر إلى الجامع الجديد بعد قرار إدارة الجيش الفرنسي القاضي بالإستلاء على بيت المال، وكذا تهديم بعض المساجد فكان مسجد السيدة ضحية ذلك القرار، حيث هدم سنة (1832 م). [8]

وقد جاء المنبر فريدا من نوعه فهو يحتل مكانة مرموقة ضمن المنابر الإسلامية عامة ، والمغربية خاصة ، إذ يمثل آية من آيات الحسن والجمال شكلا ومضمونا، حيث يظهر ذلك جليا ، فيما يتضمنه من خصائص هامة كنوعية المادة المصنوعة منه وهي مادة الرخام، الأبيض الناصع، إلى جانب التنوع في الزخرفة المتأثرة بالزخارف الأوربية .

ورغم تميزه بزخارف ذات تأثيرات أوربية خاصة فني الباروك والركوكو الذين ظهرا وانتشرا في أوروبا خلال القرنين (17 18)م[9]، فإنه لا يخلو من الشعارات التي تدل على الصناعة الإسلامية حيث يظهر ذلك من خلال الشكل العام للمنبر، والمكون من الواجهة الأمامية وريشتين جانبيتين وجلسة خطيب وهو بذلك يتبع نفس النظام السائد في صناعة المنابر الإسلامية عامة .

كما تظهر هذه الشعارات من خلال العناصر الزخرفية المتماثلة فيما بينها من حيث كونها عناصر موحدة ومتجانسة ، وإن كانت في جوهرها تتخذ معالجة للتصميم النباتي والهندسي، من خلال التعبير الفني، وهي في ذلك تتماشى والروح الفنية الإسلامية.

لقد اختلفت الأقوال حول مصدر المنبر ، إلا أن معظم هذه الآراء تشير أنه جلب من الجمهوريات الإيطالية، والتي كان صالح باي يتعامل معها ، وجلب منها معظم مواد البناء الثمينة وتكمن أهمية المنبر في تنوع رخامه المستخدم في صناعته وكذلك بثراء زخارفه.[10]

وقد أشار جورج " مارسي " في هذا الصدد إلى أن النحاتين بمدينة الجزائر أكثر ما كانوا يستعينون بالمنحوتات الرخامية المستوردة من ايطاليا[11]، إذ يشير إلى أن جل المنحوتات الرخامية المستعملة في مختلف العمائر والفنون التطبيقية هي مصنوعات ايطالية، خاصة وأن حكام مدينة الجزائر – الدايات – آنذاك كانوايتطلعون إلى عملية استيراد الرخام الجيد من الخارج، خاصة وأن الأموال لم تكن عائقا لهم ويتعلق ذلك بالأعمدة والتيجان.[12]

ا – وصف المنبر :

امتد الطراز العثماني الذي كان سائدا في الحاضرة اسطنبول إلى جميع الدول الإسلامية التي كانت تابعة لها ، ومن بينها الجزائر ، بحيث يظهر الأسلوب العثماني واضحا على كل المنشآت (دينية كانت أو مدنية) التي أقيمت في هذه الفترة سواء أنجزت على مادة الخشب أو الرخام ومن أهم هذه المنشآت المنابر الرخامية والتي نحن بصدد دراستها .

يعتبر منبر جامع الجديد من المنابر النادرة في مدينة الجزائر، بحيث يعتبر تحفة فنية لم نرها في المساجد الأخرى ، حيث صنع المنبر من مادة الرخام، الأبيض المرمر حيث يحمل العديد من الزخارف الإسلامية التي تغلب عليها العناصر النباتية والتي أخذت القسط الوافر من الزخرفة.

المقاسات :

فالمنبر يقع على يمين المحراب بمسافة تقدر بـ – 68 سم ، يتكون من ريشتين يمنى ويسرى ، ارتفاع الواحدة منها 2.40 م، وبطول حوالي 3.40 م ، أما السمك فيقدر بـ – 08 سم ، فمقاسات المنبر كالآتي:

العنصر	المقاسات
المدخل	. المدخل من الخارج : ارتفاع:2.42م، عرض:78سم – فتحة المدخل :ارتفاع: 1.79م، عرض:55سم – البلاطة الرخامية التي توجد أمام المدخل – : الطول الأقصى : 1.16 م ,عرض:39 سم –الكابولي: ارتفاع : 56 سم، طول : 32سم، سمك : 5سم
الدرج	عدد الدرجات 09 ,القائمة 19.5 سم النائمة 30 سم,عرض 68 سم
الدرابزين	ارتفاع:45سم ,عرض:2.80م,سمك:08سم
الريشتان	ارتفاع كلي:2.68م ,عرض:3.46سم
جلسة الخطيب	طول : 81 سم ,عرض : 52 سم ,ارتفاع : 38 سم
الجوسق	– الأعمدة: طول 87 سم، مع السقف 1.08 م، قطر 39 سم –السقف: مربعة الشكل بحيث : الطول = 87.05 سم –القبيبة : ارتفاع:1.90م، طول الضلع 19 سم
الفتحة الجانبية	ارتفاع:1.47م ,عرض:42سم

الجدول رقم 01

2.2.الوصف:

صنع المنبر من الرخام الملون بعدة ألوان تمثلت في اللون الأبيض والزبادي واللون الأخضر، ويتكون من أجزاء عدة هي المدخل والدرج والدرابزين والريشتين والجوسق ويمكن وصف المنبر من خلال وصف أجزائه بالترتيب وهي كالآتي :

المدخل:

تتميز واجهة المنبر بعقد حدوي يعلو باب مدخله ، حيث هناك ثلاثة أشرطة تشغل العقد في الواجهة تفصل عن بعضها بواسطة خطوط مستقيمة جاءت على النحو التالي شريط سفلي قوام زخرفته عنصر نباتي متمثل في زهرة اللاله المحورة يتفرع منها عنصران نباتيان(فرعان نباتيان) يتمثلان في المراوح النخيلية كما ينطلق من الزهرة الوسطى خط صغير (عمود) به كرة صغيرة ويتوج بهلال وبالجانبين نجد زهرتين مقلوبتين أسفلهما توجد عة حبيبات التي تشكل

حبيبات الطلع ويتفرع من الزهرتين فرعين نباتيين يمثلان أنصاف المراوح النخيلية. أما الشريط الأوسط فقوام زخرفته عناصر كتابية ونباتية، الكتابية منها متمثلة في كتابة نفذت بالحفر البارز واستعمل الخط النسخي المغربي في تنفيذ هذه الكتابة و مضمونه: بسم الله الرحمان الرحيم (وما توفيقي إلا بالله)[13].

وتتخلل هذه الكتابة زخارف نباتية وكتابية متمثلة في حروف صغيرة وعلامات الإعجام والتشكيل منها عنصران نباتيان (فرعان نباتيان) يتمثلان في المراوح النخيلية أما الشريط العلوي فهو عبارة عن عقد منكسر ذي زخارف نباتية تميزها زهرة اللاله يتفرع من السفلى فرعان نباتيان يمثلان أنصاف المراوح النخيلية وينتهي كل فرع بورقة الأكانتس ثلاثية الفصوص هذه الأخيرة يتفرع منها هي الأخرى فرعان نباتيان قوامهما المراوح النخيلية جاءت في وضعية متشابكة فيما بينها. ويعلو العقد ثلاث كرات نحاسية اثنتان تعلو العضادتين والثالثة تتوسط العقد من الأعلى يعلو الكرة الوسطى قضيب ينتهي بهلال تتوسطه نجمة سداسية، ومن الملاحظ أن هذه الأخيرة (الكرة النحاسية الوسطى) أكبر حجما من الكرتين الجانبيتين.

كما نجد أمام المدخل بلاطة رخامية ذات لون أبيض جعلت ربما كبداية للدرج بحيث نجدها مستطيلة الشكل على عرض المدخل بالإضافة إلى العنصر الكابولي الذي يوجد على أسفل العضادتين (على حافتي المدخل من الخارج) فوق البلاطة الرخامية ذو رخام أبيض تتخلله زخرفة هندسية في جانبه (اليمنى واليسرى) تمثلت في مثلث قائم الزاوية.

الـــــدرج :

أما بالنسبة للدرج الصاعد المؤدي إلى جلسة الخطيب فهو يحتوي على تسع (09) درجات بحيث طول القائمة 19.5 سم و النائمة 30 سم وعرضها 68 سم وتخلو أرضية الدرج من الزخرفة ذات اللون الأبيض.

الدرابزين :

قوامه خطين مستقيمين ومتوازيين مكونين من شريط زخرفي كبير يمتد محاذيا للدرج الصاعد، وقد زين بزخارف رخامية مخرمة قوامها رخامية من النوع الدقيق، رفيعة و صغيرة الحجم

عددها 12 عمود يفصل بينهما عنصر نباتي قوامه زهرة الأقنثة محورةتنبثق من جانبيها فرعان على شكل لفائف يمثلان مراوح نخيلية، وقد جاءت هاته الأعمدة والأوراق في وضعية بالتناوب بأسلوب الرومي، كما نجد زخرفة نباتية عبارة عن مروحة نخيلية اتخذت شكل حلزوني جاءت على شكل مروحة نخيلية.

الريشتان :

أما ريشتي المنبر فهما متماثلتان ويمكن تقسيمهما من حيث الزخرفة كمساحات زخرفيه مميزة عن بعضها البعض ونظرا للتشابه الرشتين اليمنى واليسرى فإنه يمكن دراسة إحداهما فقط وهي الريشة اليسرى الموجودة من جهة المحراب. فالزخارف على الريشتين نفذت بطريقة الحفر الغائر، أي زخارف بارزة على أرضية غائرة والزخارف نجدها على النحو التالي فهي عبارة عن مثلث قائم الزاوية قاعدته من الأعلى وحافته عبارة عن شريط زخرفي تشغله زخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية.

أما داخل المثلث فنجد زخارف نباتية متنوعة العناصر قوامها زهرة أكانتا في الوسط كعنصر رئيسي في الزخرفة يحيط بها زخارف نباتية أخرى قوامها أوراق أكانتا محورة ومجردة جاءت متصلة مع بعضها البعض، أخذت وضعية التداخل والتشابك (الأسلوب الرومي)، إلى جانب وجود حبيبات المشكلة حبيبات الطلع ، وترتكز هذه المساحة الزخرفية على مساحة زخرفيه أخرى وهي المساحة السفلية قوامها صف من العقود الحدوية على هيئة بائكة مصغرة ملئت فراغات عقودها بالبلاطات الخزفية، وعددها 7 تحمل 6 عقود حدوية ، وهي خالية من العناصر الزخرفية ما عدا منطقة زخرفيه ، ضيقة تفصل بين المساحة الوسطى للريشة والدعامة التي يرتكز عليها عقد الواجهة الأمامية ، فهذه المساحة الصغيرة قوام زخرفتها عناصر نباتية متمثلة في ورقتي الأكانتس محورة ومجردة ركبتا مع بعضها ، هذه الأخيرة يتفرع منها مراوح نخيلية جاءت في وضعية دائرية محاولا الفنان في ذلك زخرفة المنطقة كلها.

جلسة الخطيب :

بينما جلسة الخطيب فهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل، مساحتها 80 سم على 80 سم ، على جانبيها الأيمن و الأيسر عبارة عن مستطيلين استعملت فيهما الألوان الأسود والأبيض والبني، بحيث أن المستطيل الكبير لون باللون الأسود، والمستطيل الأصغر ذو لون أبيض ولونت مساحته بلون بني ويتوسطه (المستطيل) شكل بيضي لونت مساحته بلون بني.

الجوسق :

أ- الأعمدة :

ويرتكز السقف على أربعة أعمدة رخامية صغيرة في الزوايا الأربع (الأركان) هذه الأعمدة ليست لها قواعد تستند عليها، أما بدنها جاء أملس خالي من الزخرفة بينما تيجان الأعمدة هذه فهي تميل إلى الطراز الأيوني، المتكون من بكرتين متصلتان ببعضهما البعض، بواسطة شريط مستقيم .

ب- السقف :

وسقف جلسة الخطيب هو الآخر مربع الشكل، يتوسطه من الأسفل عنصر زخرفي نباتي، ممثل في أوراق الأقنثة الكلاسيكية، ونجد بأسفل حافة السقف زخرفة معمارية عبارة عن شرفات في وضعية مقلوبة تحمل زخرفة هندسية عبارة عن أنصاف دوائر، وعقود في شكل مقلوب .

ت- القبيبة المخروطية :

ويعلو السقف شكل هرمي من الرخام الأبيض على هيئة مخروط، يتكون من ثمانية أوجه (أضلاع)، وينتهي في الأعلى بثلاث كرات الواحدة فوق الأخرى يفصل بين كل كرتين حلقة صغيرة، وفي الأخير يتوج بهلال في الأعلى مواز للقبلة والأضلع الثمانية تزخرف بنفس الزخارف وهي الزخارف المعروفة بزخرفة عصر النهضة الأوربية، قوامها أوراق الأقنتس محورة في الأسفل ، جاءت على شكل شريط زخرفي دائري، تشبه زخرفة تيجان الأعمدة بأوراق الأقنتس، كما نجد أعلى هذه الأوراق زهرية بكامل عناصرها المعروفة حيث ينمومنها فرع نباتي، هذا الأخير بدوره يتفرع منه أوراق نباتية قوامه المراوح النخيلية اتخذت أشكالا متنوعة، تبدو في

ذلك بجميع مراحل نموها المعروفة، بمعنى أنها بذلك تكون شجرة بكامل عناصرها، من نمو الأوراق والفروع، وهي تتفرع من الفرع النباتي الصاعد إلى الأعلى الذي ينتهي في الأخير بعنصر هندسي ممثل في الهلال .

وقد عرف الهلال استعمالا واسع النطاق لدى العثمانيين عامة، إلا أن الهدف من استعماله لا زال موضوع اختلاف الباحثين، فمنهم من يعتبره شعارا للدولة العثمانية[14]، ومنه من اعتبره كرمز عقائدي يدل على مدى الصراع القائم بين المسلمين والأوربيين في تلك الفترة.لكن الاعتقاد السائد في ماهيته هو الاعتقاد الشعبي له ، والذي يدعو إلى أنه علامة أو رمز لإبعاد عين الحسود، إلا أن الأستاذ " مرزوق مُحَّد عبد العزيز "يعتبره رمزا لتخليد حكام الجزائر" الدايات " ذلك لإبراز القوة عند الحكام.[15]

وأخيرا نشير إلى أن هذه القطع = المساحات = الزخرفية جمعت ولصقت ببعضها البعض بواسطة مسامير حديدية صغيرة، حيث يظهر المنبر وكأنه قطعة واحدة متناسقة في الأجزاء، زخرفت بشتى أنواع الزخارف، من نباتية وهندسية وكتابية، جاءت بطريقة بارزة على أرضية غائرة، هي في ذلك تدل على الصناعة الأوربية وبالتالي توحي إلى مدى سيادة الزخرفة الأوربية آنذاك.

ث- الفتحة الجانبية :

وتتمثل في المساحة المحصورة بين جدار القبلة للمسجد، والمساحات الزخرفية الأخرى في المنبر، قوام هذه المساحة شكل مستطيل تحيط به أشرطة قوام زخرفتها مراوح نخيلية متصلة مع بعضها البعض بحيث لا تعرف البداية من النهاية وهذا ما يسمى الأسلوب الرومي، وهذا الشكل المستطيل (الفتحة الجانبية) مقسم بدوره إلى مناطق زخرفية ثلاث : السفلي منها مستطيلة الشكل مساحتها150 سم 42 x سم جاءت كإطار لفتحة أسفل جلسة الخطيب هذه الفتحة معقودة بعقد حدوي ، وفي الجانبين وفي أركان العقد نجد فرع نباتي مورق في نهايته.

ويعلو هذا العقد مساحتين هندسيتين جاءتا بشكل غائر، السفلى مستطيلة الشكل مساحتها 42سم27 xسم تحتوي على زخرفة مجدولة لونت باللون الأبيض على أرضية

خضراء، والعليا مربعة الشكل مساحتها 42سم42 xسم قوام زخرفتهما الزخرفة المعروفة بالزخرفة المجدولة لونت باللون الأبيض على أرضية خضراء وتتوسط هذا الشريط زهرة مفصصة، كما يتدلى من كل دائرة شريط زخرفي، هو الآخر من النوع المجدول ، مثل الشريط الرابط بين الدائرتين، فهذا النوع الزخرفي يشدنا إلى العودة إلى زخرفة عصر النهضة الأوربية .

3. المنبر الرخامي لجامع سيدي لخضر الكتاني بمدينة قسنطينة:

1.3 نبذة عن الجامع:

ارتبطت أعمال صالح باي الإنشائية بتطور عمراني لمدينة قسنطينة، تحول فيه مركز المدينة إلى حي جديد، يعد حيا رسميا لوجود جامع جديد ودار شيدها صالح باي، الأول كجامع للحي والثانية لسكناه، وقد دعي الحي بسوق الجمعة مما يعني أن هذا الحي كان يقوم فيه سوقا تجاريا للتبادل والمبايعة يوما في الأسبوع وهو يوم الجمعة، ويقع الحي الجديد إلى الشمال الغربي من طرف المدينة العامر في اتجاه الجرف بالقرب من حي القصبة والقنطرة بعيد عن المركز السابق بالقرب من بابي : الوادي والجديد ، وذلك في منطقة طبوغرافية وعرة كانت تحتوي على عدد من المنشآت السكنية.[16]

الموقع: بني جامع سيدي الكتاني أو جامع الكتانية بجوار ضريح أحد الأولياء يدعى سيدي الكتاني، لا توجد معلومات كافية عنه، وبيت صلاة المسجد مستطيلة الشكل حيث يتم الصعود إليها بواسطة سلم أما الدور الأرضي استعمل لأغراض أخرى.

وقد أرخت هذا الجامع كتابة تأسيسية محفورة في لوحة رخامية وضعت فوق أحد أبواب الجامع، وهي معلقة إلى يومنا هذا وعدد سطورها سبعة[17]، نصها كالتالي:

1- بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صلى الله على سيدنا مُحَمَّد

2- مطامع الخير جاءت من أفق شاء السعادة

3- و أشرف الجو منها بمسجد للإفادة

4- فباي باي الزمان هو صالح ذو المجد

5- تراه في الخير الخير يسعى دخر اليم لاعادة

6- حياه ربي بيتـا من جنة وزيـــادة

7- أن راقت تاريخه قل سنة (150 هـ /1776م)

ا - **وصف المنبر :**

وقد صنع منبر الجامع (سيدي الكتاني): صالح باي حاكم قسنطينة عاصمة بايلك الشرق ، وذلك سنة (1204 هـ /1789 م) بعد 14 سنة من بناء المسجد (1190هـ /1776 م) وهو ما توضحه كتابته التأسيسية بتاريخ الجمل في أعلى واجهته والتي انتظمت في شريط ذي أربعة خراطيش، ونصها:

لا إلـــــه إلا الله محمـــد رسول الله

بني منبرا بالعز والنصر صالح له سبل الخيرات تاريخه رشد

ورشد هي حروف تاريخ الجملة المؤرخة للمنبر وتعادل التاريخ المذكور أعلاه[18] ومنبر جامع الكتاني معاصر لمنبر جامع الجزائر ، ولكونه أكبر منه حجما وأكثر رقة وجمالا وأفخم زخرفة.

المقاسات :

العنصر	المقاسات
المدخل	. المدخل من الخارج : ارتفاع : 2.20م، عرض:1.01م الارتفاع بالزخرفة 2.47م – فتحة المدخل : ارتفاع: 1.65م، عرض:65.5 سم , سمك 15.5 سم – العنصر الحلزوني: ارتفاع : 60 سم، عرض : 72 سم , سمك : 13.5 س
الدرج	عدد الدرجات 09 ,القائمة : 22 سم ,النائمة : 30 سم ,العرض : 69 سم
الريشتان	الارتفاع الأقصى :2.62 م , الارتفاع الأدنى :85 سم ,عرض : 2.80م
الدرابزين	ارتفاع:55 سم ,طول 2.66 م ,سمك :10سم.
جلسة الخطيب	طول : 71.05سم ,عرض : 68 سم , ارتفاع : 63.50 سم
الجوسق	. الأعمدة : الارتفاع : 81 سم، قطر : 13 سم – السقف : طول : 81 سم، عرض : 71.05 سم – القبيبة : ارتفاع:1.90م
القبيبة	ارتفاع:1.47م ,عرض:42سم
الفتحة الجانبية	ارتفاع:1.46م , عرض: 36 سم

الجدول رقم 02

2.3.الوصف:

لقد صنع منبر جامع سيدي الكتاني من الرخام الملون بألوان متعددة تمثلت في اللون الأبيض واللون الزبدي واللون الأخضروهو يشبه منبر جامع الجديد الذي جيء به من جامع السيدة .

المدخل:

ويتكون من مدخل معقود بعقد حدوي، كما نجد على ركني العقد فرع نباتي مورق في نهايته على شكل بيضي مفتوح وهو العنصر المعروف بقرن الرخاء في فن الباروك الأوربي ويحتضن العقد من ركنيه إطار ضيق ترصعه على الجانبين مزهرية تنطلق منها لفيفة من المراوح النخيلية باللون الأبيض على أرضية بنية مجزعة و يعلو العقد شريط كتابي في حشوه رخامية مستطيلة موزعة على أربعة خراطيش نفذت بأسلوب الحفر البارز، لونت الحروف فيه باللون الأصفر الذهبي على أرضية خضراء جميلة ومضمونها : لا إله إلا الله – مُحَمَّد رسول الله – بني منبرا بالعز والنصر صالح له سبل الخيرات تاريخه رشد، وتنتهي الواجهة على هيئة عقد مفلطح منكسر تتوسطه حلية رصع وسطها بدائرة باللون الأخضر، ويعلوها قرص بلفائف جانبية، أما الباب فإن إطاريه زينا من نهاية الشكل الحلزوني إلى ركني العقد بلون أخضر كما يكتنف أسفل العضادتين زخرفة على شكل حلزون أو لفائف زينت واجهته بورقة الأقنتس فوق بعضها البعض.

الدرج:

أما بالنسبة للدرج الصاعد المؤدي إلى جلسة الخطيب فهو يحتوي على تسعة (09) درجات بحيث طول القائمة 22 سم و النائمة 30 سم وعرضها 69 سم وتخلو أرضية الدرج من الزخرفة بحيث يوجد شريط لون بلون بني في وسط النائمة أما القائمة لونت باللون الأبيض.

الدرابزين:

أما الحاجزان الجانبيان لريشتي المنبر ، فهما مستطيلان خماسيا الزوايا يعلوها درابزين من الرخام الأبيضمزخرفان بعناصر متنوعة قوامها : أعمدة رخامية وأوراق الأقنتس، تحيط به شريطان من الأعلى ومن الأسفل ذو اللون البني بداخلهما مراوح نخيلية متصلة مع بعضها البعض وكلها تمتد على طول امتداد الحاجزين بالتناوب .

الريشتان:

والريشتان على هيئة حشوة مثلثة الشكل تتوسطها ورقة أكانتا كبيرة الحجم نظمت داخل إطارات مستطيلة ألوانها تتراوح بين الأبيض والبني والأخضر، ووضع هذا المثلث الأبيض على أرضية خضراء، وأحيط بإطار به زخارف تشبه زخارف إطار الواجهة، وهي عبارة عن مراوح نخيلية، وتتكون قاعدة الريشتان من بوائك معقودة بعقود حدوية صغيرة داخل مستطيلات ، تتبادل مع لفائف من المراوح النخيلية .

جلسة الخطيب:

بينما جلسة الخطيب فهي عبارة عن مساحة مربعة الشكل، مساحتها 80 سم على 80 سم، أما بالنسبة لجدرانها الثلاثة لجلسة الخطيب (الأيمن والأيسر والجهة المقابلة) فهي متشابهة في الزخرفة حيث لون المربع الكبير المحاط بالجدار بلون أبيض والمربع الصغير بلون بني، وتتوسطه شكل هندسي لونت مساحته باللون البني على أرضية بيضاء، وبالنسبة للشكل البيضي لونت مساحته بلون بني.

الجوسق:

الأعمدة:

وتقوم جلسة الخطيب على أربعة أعمدة مبرومة عل شكل حلزوني، ملفوفة بلفتين بلونين متناوبين البني والأبيض.

السقف:

وفي وسط سقف الجلسة زهرة الأقنتس لونت بلون مذهب تحيط بها أوراق على شكل عناصر هندسيةإضافة إلى شرفات مقلوبة على طول حواف السقف.

القبيبة المخروطية:

والقبيبة نفسها تتكون من شكل هرمي من الرخام البني على هيئة مخروط يتكون من ثمانية أوجه (أضلاع)، وينتهي في الأعلى بثلاث كرات الواحدة فوق الأخرى، يفصل بين كل كرتين حلقة صغيرة، وفي الأخير يتوج بهلال في الأعلى،أو تقوم عليها كتلة مستديرة مسلوبة تنتهي بهلال، وقد زينت أضلاع القبيبة بزخرفة نباتية قوامها مراوح نخيلية.

4.الخاتمة

ومنه فإن المنابر الرخامية بالجزائر خلال العهد العثماني قد جمعت معظم العناصر المكونة للمنبر عموما، بحيث نرى أن هذه المنابر تميزت بالجمالية والدقة والإتقان واستعمال الرخام الملون، ومدى براعة الفنان، وهذا ما نشاهده في العناصر المكونة للمنبر التالية:

الرشتان : وتميزت في كل من منبري جامع الجديد وجامع سيدي الكتاني بتزيينهما بحشوات مثلثة الشكل ذات زخارف نباتية بارزة.

الدرابزين : حيث أن الدرابزين في هذين المنبرين يتكون من قوائم على هيئة عميدات تفصل بينهما عناصر نباتية مفرغة.

الجوسق : بالنسبة لمنبر جامع الجديد استعملت أربع أعمدة اسطوانية ملساء، أما جامع سيدي الكتاني فنجد فيه القبيبة تقوم على أعمدة ملفوفة بلونين متناوبين هما الأبيض والبني.

القبيبات : اتخذت قبيبات كل من منبري جامع الجديد وجامع سيدي الكتاني الشكل المخروطي أو الهرمي.

الفتحات الجانبية : احتوى المنبران على فتحات جانبية معقودة أسفل جلسة الخطيب على هيئة العقد الحدوي.

من خلال ذالك نجزم أن الفنون الإسلامية بالجزائر شكلت خصوصية في الكثير من المفردات التقنية والفنية من خلال بروز طرز معمارية عديدة و خصوصية متميزة في الكثير من اللواحق والمنقولات والمقتنيات التي اتسمت في يد الفنان الجزائري بدقتها وإتقانها والانضباط في انجازها ومنها من ظهر جليا في المنابر الرخامية التي تشعبت عناصرها وتعددت جمالياتها .

5.الإحالات والهوامش

[1] -KLEIN(.H)., fuilles d' el- djezayir, t 2, alger, 1910, p 27.

[2]- عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، ص 535 .

[3] - DEVOULX. A., notice sur les vorporation religieuses, D' alger, librire editeur, alger, 1912, p 67

[4]- المساجد في الجزائر، في سلسلة الفن والثقافة، مطبعة التاميبراء، مدريد، 1970، ص 51.

[5]- المساجد في الجزائر، المرجع السابق ، ص 51

[6] - MARCAIS-G-, op.cit, p 426

[7] - KLEIN .H., op.cit, p26

[8] -DOKALI, RACHID, Les mosquées de la période turque à Alger, s.n.ed., Alger ,1974 , p p 25-28

[9] -CARAYON .(G) ., Le travail artistique du bois en alger, p16

[10] -DOU KALI.(R) op.cit, p59

[11] -MARCAIS (G), op.cit, p 449

[12] -MARÇAIS (G), op.cit, p 450

[13]- القرآن الكريم، سورة هود، الآية 88.

[14]- عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، ص 541.

[15]- مُحَمَّد عبد العزيز مرزوق، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مكتبة أسعد، بغداد، 1965 ص93.

[16]- فندلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977 ، ص 91 – 94

[17] -RACHID BOUROUIBA. Les inscriptions commemoratives des mosquées d'Alger, (3) O.P.U, Alger, 1984, p.p 256 – 257.

[18] مُحَمَّد محمود عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص 536.

6. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم، سورة هود، الآية 88.
- عبد العزيز , محمود الاعرج, (1990) الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العهد التركي,ط1, المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر
- المساجد في الجزائر، (1970) ، سلسلة الفن والثقافة، مطبعة التاميبراء، مدريد
- مُحَمَّد عبد العزيز , مرزوق،(1965) الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه، مكتبة أسعد، بغداد
- فندلين ، شلوصر، (1977) ، قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837، ترجمة أبو العيد دودو، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
- KLEIN(.H).(1910), fuilles d' el- djezayir, t 2, alger
- DEVOULX. A.,(1912) notice sur les vorporation religieuses, D' alger, librire editeur, alger
- Marcais (G) ; (1954) L'archetecteure Musulmane D' Occident ;Tunisie. Algérie Maroc .Espagne. Et Sicile Arts Et Métiers Graphiques Paris
- Dokali, Rachid, (1974) Les mosquées de la périod turque à Alger, s.n.ed., Alger
- CARAYON (G).,(s d) Le Travail Artistique Du Bois En Algérie,Imp.Fontanas. Alger
- Rachid Bourouiba.(1984) Les inscriptions commemoratives des mosquées d'Alger, (3) O.P.U, Alger